المحاضرة الأولى: التعريف بعلم الآثار(ج1)

1 -مفهوم علم الآثار :

علم الآثار هو ترجمة الكلمة أركيولوجيا - Archeologic - التي يعود أصلها للغة اليونانية القديمة (الإغريقية)، و هي تنقسم إلى قسمين : أركيو Archeo و معناها قديم أو عتيق و الوجوس Logos و معناها علم، وهكذا يتضح معنى كلمة أركيولوجيا و هو العلم الذي يدرس الأشياء القديمة .

أما اصطلاحا، فيمكننا القول أن علم الآثار هو العلم الذي يهتم بدراسة المخلفات المادية الدالة على نشاط الإنسان القديم، كما يدرس الإنسان القديم بحد ذاته و البيئة أو المحيط الذي عاش فيه .

11 -نشأة مصطلح أركيولوجيا (Archeologie)

كما سبق ذكره فإن مصطلح أركيولوجيا مشتق من اللغة اليونانية القديمة، و قد تم استخدامه من طرف اليونانيين القدامى في عدة ميادين، حيث استخدموا مصطلح " أركيولوج خلال القرن الأول ميلادي و أطلقوه على فئة من ممثلي الدراما بالإيماء ، و الذين كانوا يمثلون الأساطير القديمة على المسرح، وظل استخدام هذه الكلمة في البلدان التي تتكلم الإغريقية بصفة عرضية، لتختفي و تندثر بصورة نهائية فيما بعد .

كما استخدم الرومان كلمة أركيولوجيا خلال القرن الأول ميلادي من طرف المؤلف دنيس دلكارنس Denis D'Halicarnasse ، و الذي عاش في عهد الإمبراطور الروماني أغسطس (August) عند كتابته لكتاب عنونه الأركيولوجيا الرومانية . تناول فيه الحروب اليونية الثلاثة بين روما وقرطاجة و التي انتهت بفور روما و سقوط قرطاجة سنة 118 م .

ابتداء من القرن الأول ميلادي اختفى نهائيا استعمال كلمة أركيولوجيا لتعاود الظهور خلال القرن السابع عشر ميلادي، على يد الرحالة الفرنسي جاك سون(Jacques Spon) ، في كتابه الذي ألفه سنة 1689 بعنوان رحلة إيطاليا ، دلماسيا، يوغوسلافيا و بلاد الإغريق و الشام ، لكنه كان يخلط بين مصطلحي الأركيولوجيا والأركبو غرافيا

و عند ظهور علم الآثار كعلم مستقل بذاته يهتم بدراسة حياة الإنسان القديم تم اعتماد كلمة أركيولوجيا لتطلق على هذا العلم .

111 - نشأة علم الآثار :

لقد سبق الإهتمام بجمع الآثار والتحف ظهور مصطلح أركيولوجيا، حيث أن ظهور علم الآثار و نشأته كعلم تطور عبر فترات زمنية مختلفة ، نتيجة لتطور عملية التنقيب و البحث عن الآثار، وتعود أولى بوادر الاهتمام بجمع التحف والآثار إلى عهد الكندائيين (625-538 ق م) ببلاد الرافدين ، حيث كان الملك الكلداني نابوليد 555-539 ق م) يهتم بالتنقيب عن الآثار في المعابد و الأبراج لجمع التحف التي خلفها أسلافه بحوالي ألفي عام، حيث تم العثور على أختام أسطوانية تعود للسلالة البابلية الأولى (سلاسة حمورابي .(

و كان نفس الاهتمام بجع التحف لدى ملوك برجام باسيا الصغرى خلال القرن الثالث ميلادي، وأسسوا بها متحفا من طرف الملك أتال (241-197 ق م) .

و لم يبتعد الأباطرة الرومان عن هذا الاهتمام ، بل قاموا بجمع التحف مثلما فعل يوليوس قيصر (Julius Cesar)، الذي قال عنه استرابو أنه كان مولعا بجمع التحف القديمة خاصة الأحجار الكريمة المنقوشة، كما قام الإمبراطور الروماني هادريان (Hadrianus)، بالاهتمام بالآثار من خلال تجديد و تربين منشأت إغريقية وأنشأ في قصره رواقا لحفظ الرسوم، كما بعد أول من أنشأ متحفا للفن والهندسة المعمارية، ونظرا لاهتمام الأباطرة الرومان بالتحف الأثرية فقد كانوا يقومون بجمعها وعرضها بالساحات العامة والمسارح والحمامات .

و خلال العصور الإسلامية و بعد توسع الدولة الإسلامية ، قام الحكام و الملوك و الأمراء والسلاطين المسلمين تجمع التحف الأثرية، وجلبها إلى قصورهم ، حيث كانت قصور الأمراء الأمويين والعباسيين تزخر بمختلف التحف والنفائس، و قد اهتم الفاطميون بجمع التحف على حساب الأغالية وكان جمعهم جمعا منظما يهتم بقيمة التحفة الأثرية والفنية، كما قام الحكام المسلمين بإعادة استعمال البقايا الأثرية في إنشاء مبانيهم الجديدة و تزيينها كالأعمدة و التيجان و غيرها .

و في المقابل وخلال العصور الوسطى اهتم أثرياء أوروبا و الحكام و العائلات الأرستقراطية بجمع التحف الثمينة والنادرة و خلق مجموعات متنوعة منها تستخدم لتزيين قصورهم و منازلهم .

و لم يقتصر الإهتمام بالآثار على الحكام و النبلاء فحسب بل تعداه إلى الكتاب و المؤرخين أمثال المؤرخ اليوناني هيرودوت القرن 05 ق م) ، الذي ضمن كتاباته معطيات ووصف للآثار، وكذلك نفس الشيء لدى المؤرخين والكتاب الرومان، و منهم بلينوس و فيتروفيوس و ديودور الصقلي و استرابو خلال القرن الأول ميلادي .

و خلال العصور الإسلامية نجد أن الكتاب والمؤرخين وخاصة منهم الرحالة و الجغرافيين فقد اهتموا بوصف المعالم الأثرية و أطلال المدن القديمة ، كالإدريسي و المقريزي و المقديسي و ابن رسته والبكري، ومنهم من دعى إلى حفظ الآثار وحمايتها و صيانتها كابن خلدون و عبد الله البغدادي باعتبارها جزء من تراث الأمة وتاريخها .

و من خلال ما سبق ذكره، تلاحظ أن الاهتمام بجمع الآثار و التحف منذ العصور القديمة لدليل على الإحساس بالقيمة الكبيرة لتلك الآثار سواء من الناحية الجمالية أو التاريخية و الحضارية، غير أن هذا الاهتمام لم يرق إلى دراسة الآثار و التنقيب عنها بطرق علمية صحيحة بل كان الهدف من جمعها الإبراز التراء و الثروة أو التفاخر و التباهي ، حتى أن الكتاب اهتموا فقط بوصف الآثار دون التطرق لقيمتها وأهميتها .

و يبدوا أن الاهتمام الصريح بدراسة الآثار ، الطلق من إيطاليا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي، عندما انصبت الأبحاث حول الآثار الإغريقية و الرومانية .

و منذ القرن الثامن عشر ميلادي ظهرت عدة عوامل أنت إلى تغيير النظرة إلى الدراسات و الأبحاث الأثرية وتوسيع مجالها ، و من أهمها :

-اكتشاف مدينتي بومبي و هيركولانوم وإجراء العديد من الحفريات بها

اكتشاف حصارات أقدم من الحضارتين اليونانية والرومانية ، ما وسع مجال البحث الأثري العصور أقدم و آثار مختلفة، فظهرت عدة تنقيبات بكل من بلاد الرافدين و مصر و غيرهما .

اكتشاف مراحل ما قبل التاريخ وما صاحبها من جدل حول أصول ظهور الإنسان و تطوره ، نظريات التكيف والتطور المختلفة .

التمكن من فك اللغة المصرية القديمة من طرف العالم شميليون سنة 1871م .

ظهور العديد من الرواد والباحثين في المجال الأثري، ما أدى لظهور العديد من المؤلفات والنظريات والمناهج المتعلقة بالبحث العلمي في مجال علم الآثار .

لقد ساهمت هذه العوامل بصفة كبيرة إلى تغيير النظرة إلى الآثار و ظهور علم الآثار بمفهومه الحديث، الذي لا يفرق فيه بين تحفة أثرية من طين و أخرى من ذهب أو فضة، و بين بقايا عظمية أو أخرى ثمينة، بل أصبحت أهمية اللقى و المكتشفات الأثرية تقاس نسبة إلى قيمة المعلومات التي تعطيها للبحث الأثري بغض النظر عن معدتها.